

أَيُّهَا الْوَلَدُ

لِلْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ

للفيلسوف حجة الاسلام، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن

محمد الغزالي

٤٥٠هـ - ٥٠٥هـ

١٠٥٨م - ١١١١م

تقديم وتحقيق وفهرسة

جميل إبراهيم حبيب

مع ثيات موقع الامام الغزالي

www.ghazali.org



الغزالي
حياته
ومنزله العلمية
ومؤلفاته

أ - حياته :

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، أحد المشهورين والمعدودين من أعلام الفكر العربي والإسلامي، ولد في مدينة طوس بمقاطعة خراسان سنة ٤٥٠ هجرية الموافقة لسنة ١٠٥٨ ميلادية، توفي والده وهو صغير، وأخذ يشق طريقه في الحياة بروح عصامية نادرة المثال، فأقبل على دراسة العلوم وتحصيلها من مناهلها بعزيمة وطيدة وإرادة متواصلة، فتعمق فيها وغاص في أبحرها، وقد تلقى مبادئ العربية واصلها أول الأمر في مسقط رأسه، ثم رحل إلى جرجان، ثم عاد إلى طوس كرة أخرى، ثم انتقل إلى نيسابور حيث لازم هناك - أمام الحرمين - الجويني - مدة من الزمن، انتهت بوفاة الامام الجويني سنة ٤٤٧ هجرية، ثم قصد العراق، فتوجه إلى بغداد مركز الخلافة العباسية ولس ان شهرته قد سبقت تلك الأفاق قبل قدومه إليها، فاتصل بالوزير نظام الملك، ففوض إليه الوزير المذكور مهمة التدريس بمدرسته المسماة بـ «النظامية» ببغداد سنة ٤٨٤ هجرية، فأخذ ينشر العلم ويدرس الطلبة، ويصنف الكتب مدة أربع سنوات، ثم فارق العراق، فرحل إلى الحجاز، وحج بيت الله الحرام، ورحل بعد ذلك إلى الشام وأقام بالقدس في فلسطين قريباً من سنتين، ويقال انه رحل إلى مصر ونزل بالاسكندرية، ثم عاد بعد ذلك إلى مسقط رأسه طوس حيث انقطع للخلوة والعبادة، وبعد ذلك ألزمه فخر الملك بن نظام الملك التدريس بمدرسته في نيسابور، فمارس التدريس فيها مدة يسيرة، عاد بعدها إلى طوس ولزم داره، إلى أن مات سنة ٥٠٥ هجرية الموافقة لسنة ١١١١ ميلادية، ودفن رحمه الله بمقبرة الطابران في طوس.

ب - منزلته العلمية :

وللغزالي منزلته البارزة من الناحية العلمية سواء في عصره الذي عاش فيه، أو العصور التي تلت، وقد لازمته هذه الشهرة حتى وقتنا الحاضر.

فقد خاض في فنون شتى من العلوم والمعارف المختلفة المواضيع، وقد أوتي موهبة فائقة من سعة الأفق وقوة البيان والتعمق في الاستنتاج، وقد ألف عديداً من الكتب والرسائل في علوم كثيرة، كالفلسفة وعلم الكلام والفقه والتصوف والاخلاق... الخ، وقد تسابق العلماء والطلبة في اقتنائها واستنساخها ودراستها من جيل الى جيل، وكانت كلما تبدأ حركة ما من قبيل الترجمة في قطر من الاقطار، إلا وكتب الغزالي، تأتي في مقدمة الكتب المرشحة في الترجمة. ولذلك نرى ان أكثر كتب الغزالي مترجمة الى عدة لغات في العالم، ولا زالت تستحوذ نظر رجال الفكر والعلم تأليفاً وترجمة عنه.

ج - مؤلفاته :

اشتهر الغزالي في مجال التصنيف والتأليف، فوضع كثيراً من الرسائل والكتب، وفي مواضيع مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال:

- ١ - احياء علوم الدين
- ٢ - المنقذ من الضلال
- ٣ - تهافت الفلاسفة
- ٤ - مقاصد الفلاسفة

٥ - ميزان العمل

٦ - القسطاس المستقيم

٧ - منهاج العارفين

٨ - الرسالة اللدنية

٩ - كيمياء السعادة

١٠ - فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة

١١ - مشكاة الانوار

١٢ - الرسالة الوعظية

١٣ - الجوامع العوام عن علم الكلام

١٤ - المضمون به على غير أهله

١٥ - الحكمة في مخلوقات الله

١٦ - معراج السالكين

١٧ - قواعد العقائد في التوحيد

١٨ - روضة الطالبين وعمدة السالكين

١٩ - الاربعين في أصول الدين

٢٠ - رسالة الطير

ورسائل أخرى غيرها.

وهناك رسائل وكتب مشكوك في صحة نسبتها الى الغزالي.^(١)

(١) راجع مؤلفات الغزالي، للدكتور عبد الرحمن بدوي لمعرفة المزيد عن تصانيف الغزالي.

صفحات مصورة
عن النسخة الأصلية للمخطوط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 أعلم أيها الولد العزيز والمحِبُّ المُخلص أطل
 الله بقال في طاعته وسلك بك سبيل
 احتبائه أن منشور النصيحة يكتب من
 معدن الرسالة صلى الله عليه وسلم فإن
 كان قد بلغك منه نصيحه فإني حاجة
 لك في نصيحتي وإن لم يبلغك فقل ماذا
 حصلت في هذه التين الماضية أيها
 الولد من جملة ما نصيح به رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أمته أنه قال من علامات
 اعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله بما
 لا يعنيه وإن امرؤ ذهب ساعة من عمره
 في غير ما خلق له لجدير أن يطول عليه
 حسرة إلى يوم القيامة ومن جاوز الأربعين
 ولم يغلب عليه خيره شره فليتبجهن إلى النار
 وفي هذه النصيحة كفاية لأهل العلم
 أيها الولد النصيحة سهلة والمشكل

قبولها

فقولها لا تنها في مذاق متبع الهوى مرة
 اذا المعاصي محبوبه في قلوبهم على الخصوص
 من كان طالب العلم الراسخي ومشتغلا بفضا
 يل النفس ومناقب الدنيا فانه يجب
 ان العلم المجتهد له وسيلة ويكون نجاته
 وخلاصه فيه وانه مستغن عن العمل وهذا
 من اعتقاد الفلاسفة سبحانه الله العظيم انه
 لا يعلم هذا القدر انه حين حصل العلم اذا
 لم يعمل به يكون الهمة عليه اكد كما قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا
 يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بعلمه وروي ابن
 الجنيدي رحمه الله عليه ربي في المنام بعد وفاته
 فقيل له ما الخبر يا ابا القاسم قال طاحت العباد
 رات وفنت الاشارات مانفعنا الا ركيعات
 ركنها في جوف الليل ايها الولد لا تكن
 من الاعمال مفلأ ومن الاحوال خاليا وتيقن
 ان العلم المجتهد لا ياتخذ اليه مثاله لو كان على

الصفحة الثانية من المخطوط

اللهم اني اسئلك من النعمة تمامها ومن العصمة دوا
 مها ومن الرحمة شمولها ومن العافية حصولها
 ومن العيش أرغدة ومن العمر اسعده ومن الاحسان
 اتمه ومن الانعام اعتمه ومن الفضل اعذبه ومن
 اللطف انفعه اللهم كن لنا ولا تكن علينا اللهم
 اختم بالسعادة اجالنا وحقق بالزيادة آمالنا
 واقرب بالعافية غدونا واصالنا واجعل الى رحمتك
 مصيرنا وما دلنا اصاب سبب سببنا على ذنوبنا
 ومن علينا باصلاح عيوبنا اجعل التقوى زادنا
 وفي دينك اجتهادنا وعليك توكلنا واعتمادنا شئتنا
 على نهج الاستقامة واعذنا من موجبات الندامة
 والفضيحة يوم القيمة خفف عنا ثقل الاوزار وار
 نر قنا عيش الابرار واكفنا واصرف عنا شر الاشرار
 واعتق رقابنا ورقاب آباءنا وأمهاتنا من النار
 يا عزيز يا غفار برحمتك يا ارحم الراحمين
 فايدة اذا كان الشخص منفردا عن مرشد
 كامل او صديق ناصح فليطالع هذه النصائح حتى
 تكون

الصفحة ما قبل الأخيرة من المخطوط

رسالة أيها الولد

الامام الغزالي

وهي من الكتب المشهورة والذائعة الصيت، - وخاصة بين أهل الذوق الصوفي -، والصحيحة نسبتها الى الامام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه.

ولكثرة اهتمام أهل العلم والمعرفة فقد قام الأقدمون باستنساخها والاعتناء بها على مر الأجيال، كما أخذ المعنيون، بدراستها، وطبعها في عدة أماكن، في وقتنا الحاضر. كما ترجم الكتاب الى عدة لغات وفي أقطار مختلفة من العالم كذلك.

والرسالة عبارة عن مجموعة من النصائح والارشادات وجهها الغزالي إلى أحد تلامذته لتكون له دستوراً ومنهجاً وطريقة له في حياته.

والنسخة التي اعتمدنا تحقيقها مودعة في خزان المخطوطات، في مكتبة الحضرة القادرية الشهيرة^(١) ضمن مجموعة تحمل رقم: ف ١٤٣٢،

س ١٤١٨، وفيها كما قلنا نسخة أيها الولد:

وقد ورد في الجزء الخامس من الآثار الخطية في المكتبة القادرية،

الاشارة التالية عن الرسالة:

(٢) للمزيد من المعلومات عن المكتبة القادرية وتاريخها راجع كتاب «مكتبة المدرسة القادرية

العامة» للاستاذ نوري محمد صبري المفتي - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٨٢.

تكون نصب عينيه يرجوا من فضل الله ان لا يكون
لنفس والشيطان عليه اسلأ ولا يقف عن الترقى
في احواله احدهما ان يعرف دقائق الرأى حتى تكون
اعماله خالصة لوجه الله والثانية انه اذا ظفر بشئ
من مراتب الطريق لا يعجب به يستهم نفسه ويعتقد
انه ليس في العالم بضال مثله ويرى تقصيره في كل
عمل والثالثة يحسن الظن بالله ويقول ان الله يرزق
الظلمة والفاسق والكفار والكلاب وسائر المخلوقات
فلا يحرماني مما قدر لي من الرزق والرابعة لا يستعجل
في حصول المقصود والخامسة يعود نفسه على
تحمل اداء الخاص العام والضعيف والكبير والمحج
والعدو والسادسة لا تحقرت مسلماً بعضي ان صدر
منه لان الخاتمة مبهمة والتابعة يخاف من سوء
الخاتمة العياد بالله والثامنة يقصر الامل بحيث
اذا صلى صلوة يعتقد انها آخر صلواته يعيش
الى صلوة اخر عام لا والله الموفق للصواب
تمت هذه الوصية بعون الله الملك الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم^(١)

المقدمة :

أيها الولد

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على
نبيه محمد وآله أجمعين.

«إعلم: إن واحداً من الطلبة المتقدمين لازم خدمة الشيخ الامام
زين الدين حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي قدس الله
روحه، واشتغل بالتحصيل وقراءة العلم عليه حتى جمع من دقائق العلوم،
واستكمل من فضائل النفس، ثم انه فكر يوماً في حال نفسه وخطر على
باله، فقال: إني قرأت أنواعاً من العلوم، وصرفت ريعان عمري على
تعلمها وجمعها، فالآن ينبغي أن أعلم أي نوع ينفعني غداً ويؤانسني في
قبري وأيها لا ينفعني حتى أتركه، فقد قال رسول الله صلى الله عليه

(٤) هذه المقدمة غير موجودة في المخطوط الأصل، وقد اقتبسناها من كتاب (أيها الولد)
المطبوع ضمن «مجموعة القصور العوالي من رسائل الامام الغزالي» بعناية وتعليقات محمد مصطفى
أبو العلا، مصر، القاهرة، تاريخ الطبع غير موجود.

«أيها الولد: تأليف محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبي
حامد (ت ٥٠٥هـ) كشف الظنون ٢١٦، أوله:

«إعلم أيها الولد العزيز والمحِب المخلص أطال الله بقاءك في طاعته،
وسلك بك سبيل أحبائه، أن منشور النصيحة يُكتب من معدن الرسالة.»
«وآخره يعيش الى صلواتٍ أخرى، أم لا، والله الموفق للصواب.
نسخة منه بخط نسق، تعليق، ترقى الى القرن الثاني عشر،
الاوراق: ١٧-١، ١٧ سطرًا.»^(٣)

وقد أضفنا المقدمة الى المخطوطة القادرية من كتاب «رسالة أيها
الولد» للامام الغزالي والمطبوع ضمن مجموعة «القصور العوالي من رسائل
الامام الغزالي» الذي طبع بعناية وتعليقات الاستاذ محمد مصطفى أبو
العلا.

وفي الخاتمة لا يسعني إلا أن أتوجه بتقديم الشكر الجزيل للاستاذ
نوري محمد صبري المفتي أمين المكتبة القادرية، الذي قدم لنا كل يد
المساعدة والعون، والذي له الفضل الذي لا ينسى، في تسهيل الامور لنا
وللباحثين والمراجعين جميعاً في المكتبة القادرية.
جزاه الله خير الجزاء والعاملين معه.

أرجو الله أن يوفقني في عملي هذا، انه نعم الوكيل.

(٣) الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ج ٥ ص ١٠٨.

وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع» فاستمرت له هذه الفكرة حتى كتب إلى حضرة الشيخ حجة الاسلام محمد الغزالي رحمة الله تعالى عليه، استفتاه: وسأل عنه مسائل، والتمس منه نصيحة ودعاء، وقال: وإن كان مصنفات الشيخ كالأحياء وغيره يشتمل على جواب مسائلي، لكن مقصودي، ان يكتب الشيخ حاجتي في ورقات تكون معي مدة حياتي معي مدة حياتي، وأعمل بما فيها مدة عمري، إن شاء الله تعالى، فكتب الشيخ هذه الرسالة إليه والله أعلم^(٥)

أصل النسخة الخطية في المكتبة القادرية

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلم أيها الولد العزيز والمحَب المخلص، أطال الله بقاءك في طاعته، وسلك بك سبيل أحبائه، أن منشور النصيحة يكتب من معدن الرسالة صلى الله عليه^(٦) وسلم، فان كان قد بلغك منه نصيحة، فأني حاجة لك في نصيحتي، وإن لم يبلغك فقل لي^(٧) ماذا حصلت في هذه السنين الماضية.

(٥) راجع ص ١٢٣ من كتاب «مجموعة القصور العوالي من رسائل الامام الغزالي» في قسم: أيها الولد.

(٦) في الأصل - عليه - الباء بدون نقاط.

(٧) في الأصل - نصيحه -

(٨) في الأصل - فقل -

١ - أيها الولد :

من جملة ما نصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته انه قال :
(من علامات اعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه، وان امرأ^(٩) ذهبت ساعة من عمره في غير ما^(١٠) خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته^(١١) الى يوم القيامة، ومن جاوز الأربعين، ولم يغلب عليه خيره شره، فليتجهز الى النار).^(١٢)

وفي هذه النصيحة كفاية لأهل العلم.

٢ - أيها الولد :

النصيحة سهلة، والمشكل قبولها لأنها في مذاق متبع الهوى مرة، إذ المعاصي محبوبة في قلوبهم على الخصوص من كان طالب العلم الرسمي^(١٣)، ومشتغلاً بفضائل^(١٤) النفس، ومناقب الدنيا فانه يحسب أن العلم المجرد له وسيلة، وستكون نجاته وخلاصه فيه، وانه مستعن عن

(٩) في الأصل - صلي -

(١٠) في الأصل - وان امرء -

(١١) في الأصل - لما -

(١٢) في الأصل - حسرة -

(١٣) في الأصل - الى النار النار

(١٤) كذا ورد في الأصل: والعلم الرسمي: تعبير صوفي.

(١٥) في الأصل - بفضائل -

العمل، وهذا من اعتقاد الفلاسفة، سبحانه الله العظيم، أنه لا يعلم هذا القدر أنه حين حصل العلم، إذا لم يعمل به تكون^(١٦) الحجة عليه أكد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة^(١٧) عالم لا ينفعه الله بعلمه، وروي أن الجنيد رحمة الله عليه روي^(١٨) في المنام بعد وفاته، فقيل له ما الخبر يا أبا القاسم؟

قال : طاحت العبارات، وفنيت الاشارات، ما نفعنا إلا ركيعات ركعناها في جوف الليل.

٣ - أيها الولد :

لا تكن من الأعمال مفلساً، ومن الأحوال خالياً، وتيقن ان العلم المجرد لا يأخذ إليه مثاله، لو كان على رجل في برية عشرة أسياف هندية، مع أسلحة أخرى، وكان الرجل شجاعاً وأهل حرب^(١٩)، فحمل عليه أسد مهيب، ما ظنك، هل تدفع الأسلحة شره عنه بلا إستعمالها وضربها، ومن المعلوم أنها لا تدفع إلا بالتحريك والضرب، فكذا لو قرأ^(٢٠) رجل

-
- (١٦) في الأصل - يكون -
 - (١٧) في الأصل - القيمة -
 - (١٨) في الأصل - ري -
 - (١٩) في الأصل - جرب -
 - (٢٠) في الأصل - قرء -

مائة^(٢١) ألف مسألة^(٢٢) علمية علمها وتعلمها، ولم يعمل بها لا تفيده إلا بالعمل ومثاله.

٤ - أيها الولد :

لو كان لرجل حرارة أو مرض صفراوي، يكون علاجه بالسكنجبيل والكشكاب، فلا يصل البرء إلا باستعمالها، ولو قرأت^(٢٣) العلم مائة^(٢٤) سنة^(٢٥)، وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالى إلا بالعمل، كما قال الله في التنزيل، تعالى وتقدس: «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»^(٢٦).

٥ - أيها الولد :

فمن قال أن هذه الآية منسوخة بقوله عليه السلام: إذا مات ابن آدم، انقطع عنه عمله إلا عن ثلاث، الحديث، فالمنسوخ هو هذا القائل^(٢٧)، ولئن^(٢٨) كانت منسوخة فما تقول في قوله تعالى: «فمن كان

-
- (٢١) في الأصل - مائة -
 - (٢٢) في الأصل - مسئلة -
 - (٢٣) في الأصل - قرمت -
 - (٢٤) في الأصل - مائة -
 - (٢٥) في الأصل - سنة -
 - (٢٦) وضعنا الآية بين قوسين لتمييز كلامه تعالى عن بقية عبارات الكتاب الأخرى.
 - (٢٧) في الأصل - القائل -
 - (٢٨) في الأصل - ولئن -

يرجو^(٢٩) لقاء ربّه، فليعمل عملاً صالحاً» و«جزاء بما كانوا يعملون» و«جزاء بما كانوا يكسبون»، «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، كانت لهم جنّات الفردوس، نزلاً خالدين» وآية، «إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً».. (٣٠)

وما تقول في هذا الحديث: بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً^(٣١) رسول الله، وإقام الصلوة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً، والايان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، ودليل العمل أكثر من أن يحصى، وإن كان العبد، يبلغ الجنة بفضل الله تعالى، وكرمه، ولكن بعد أن يشتغل بطاعته، لأنّ رحمة الله قريب من المحسنين، ولو قيل يبلغ أيضاً بمجرد الايمان!! قلنا: نعم، لكن متى يبلغ؟ كم من عقبة كؤدة تستقبله، إلى أن يصل إلى الجنة!!

أول^(٣٢) تلك العقبات عقبة الايمان، أنّه هل يسلم من السلب أم لا، وإذا، والعياذ بالله يكون خائباً مُفلساً، قال الحسن رحمة الله تعالى عليه: يقول الله تعالى لعباده يوم القيامة: ادخلوا الجنة برحمتي وأقسموها بقدر أعمالكم.

- (٢٩) في الأصل - يرجوا -
(٣٠) الاقواس من عندنا.
(٣١) في الأصل : محمد
(٣٢) في الأصل - الول -

٦ - أيها الولد :

ما لم تعمل، لم تجد الأجر، وحكي أن رجلاً من بني إسرائيل، عبّد الله سبعين سنة^(٣٣)، فأراد الله تعالى، أن يجلوّه على الملائكة^(٣٤)، فأرسل الله إليه ملكاً يخبره انه مع تلك العبارات لا يليق به، فلما^(٣٥) بلغه، قال له العابد: نحن خلقنا للعبادة، فينبغي^(٣٦) لنا أن نعبد، فلما رجع الملك قال الله تعالى: ماذا قال عبدي!! قال: إلهي وسيدي أنت أعلم بما قال، فقال الله: إذا هو لم يعرض عن عبادتنا، فنحن مع الكرم لا نعرض عنه، اشهدوا يا ملائكتي^(٣٧) اني قد غفرت له.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبوا أعمالكم، قبل أن توازنوا، وقال علي رضي الله تعالى عنه: من ظن انه بدون الجهد يصل فهو مُتَمَن، ومن ظن انه يبذل الجهد^(٣٨) يصل متعناً. وقال الحسن البصري: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وقال: عالم الحقيقة ترك ملاحظة^(٣٩) العمل، لا ترك العمل، وقال رسول

- (٣٣) في الأصل - سنه -
(٣٤) في الأصل - الملائكة -
(٣٥) كلمة - فلما - مكررة مرتين والأولى نصفها محسوس كما في أصل المخطوط.
(٣٦) في الأصل - فينبغي -
(٣٧) في الأصل - ملائكتي -
(٣٨) في الأصل - يبذل الجهد - والعبارة هنا لا تستقيم اذ الصحيح يبذل.
(٣٩) في الأصل - ملاحظة -

الله صلى الله عليه وسلم : الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت،
والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله .

٧- أيها الولد :

كم ليالٍ أحيتها بتكرار العلم، ومطالعة الكتب، وحرمت على
نفسك النوم، لا أعلم ما كان الباعث فيه ! إن كان بينه عروض الدنيا
وجذب حطامها وتحصيل مناصبها والمباهات على الأقران والأمثال فويل
لك ثم ويل لك، ، وإن كان قصدك إحياء شريعة النبي صلى الله عليه
وسلم، وتهذيب أخلاقك، وكسر النفس الأمارة بالسوء، فطوبى لك، ثم
طوبى لك، ولقد صدق من قال :
سهر العيون لغير وجهك باطل
ويكاؤهن لغير حسنك ضائع

٨- أيها الولد :

عش ما شئت^(٤٠) فإنك ميت، وأحبب ما شئت^(٤١) فانك مفارق .

(٤٠) في الأصل - ما شئت -

(٤١) في الأصل - ما شئت - كذلك

٩- أيها الولد :

فأي شيء حاصلك من تحصيل علم الأخلاق^(٤٢) والكلام والطب
والدواوين والأشعار والنجوم والعروض والنحو والتصريف، غير تضييع
العمر، بخلاف ذي الجلال، اني رأيت في انجيل عيسى عليه السلام قال :
من ساعة أن يوضع الميت على الجنازة، إلى أن يوضع على شفير القبر،
يسأل الله بعظمته منه أربعين سؤالاً أولها :

يقول الله تعالى : عبدي طهرت منظر الخلق سنين، وما طهرت منظرى
ساعة، وكل يوم ينظر الله في قلبك، ويقول ما تصنع بخيري وأنت محفوف
بخيري، أما أنت أصم لا تسمع، وفي هذا المعنى شعراً :
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليبس
مال نفسك ترضى أن تدنسها
وثوب نفسك معول من الدنس

١٠- أيها الولد :

العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم، لا يكون... وإعلم إن

(٤٢) في الأصل - الخلق -

العلم لا يسعدك اليوم عن المعاصي، ولا يملكك على الطاعة، لن يسعدك غداً عن نار جهنم، وإذا لم تعمل اليوم، ولم تدارك الأيام الماضية، تقول غداً: يوم القيامة، فارجعنا نعمل صالحاً، فيقال: يا أحمق أنت من هناك تحييء. (٤٣)

١١ - أيها الولد :

اجعل المهمة في الروح، والهزيمة في النفس، والموت في البدن، لأن منزلك القبر، وأهل القبور (٤٤) ينظرونك في كل لحظة (٤٥)، متى تصل إليهم، إياك، إياك، أن تصل إليهم، بلا زاد!! قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: هذه (٤٦) الأجساد، إمّا قفص الطيور أو اصطبيل الدواب، فتفكر في نفسك من أيها أنت، إن كنت من الطير العلوي، فحين تسمع طنين طبل، ارجعي، تطير صاعداً، إلى أن، تقعد، في أعلى (٤٧) بروج الجنان، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اهتز عرش الرحمن لموت سعد ابن معاذ، والعياذ بالله، ان كنت، من الدواب، كما قال الله تعالى: «أولئك كالأنعام بل هم أضل» (٤٨)، فلا تأمن (٤٩) انتقالك (٥٠) من زاوية

- (٤٣) في الأصل - تحييء -
- (٤٤) في الأصل - القبور -
- (٤٥) في الأصل - لحظة -
- (٤٦) في الأصل - هذا -
- (٤٧) في الأصل - أعلا -
- (٤٨) وضعنا الآية بين قوسين -
- (٤٩) في الأصل - تأمن -
- (٥٠) في الأصل - انتقالك -

الدار إلى هاوية النار، وروي ان الحسن البصري رحمه الله عليه: أعطي شربة من ماء بارد، فلما أخذ القدح غشي عليه، وسقط من يده، فلما أفاق، قيل له: مالك يا أبا سعيد، ذكرت أمنية أهل النار حين يقولون لأهل الجنة، أن أفيضوا علينا من الماء.

١٢ - أيها الولد (٥١) :

لو كان العلم المجرد، كافياً لك، ولا تحتاج إلى عمل سواه، لكان نداؤه (٥٢) سبحانه وتعالى: هل من سائل (٥٣)!! وهل من مستغفر!! وهل من تائب (٥٤)!! ضائعاً (٥٥) بلا فائدة (٥٦). روي إن جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ذكروا عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنه، عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه السلام: نعم الرجل هو، لو كان يصلي بالليل. وقال صلى الله عليه وسلم لرجل من الصحابة يا فلان لا تكثّر النوم بالليل فان كثرة النوم يدع صاحبه (٥٧) فقيراً يوم القيامة (٥٨).

- (٥١) ألف من - الولد - ساقط في الأصل -
- (٥٢) في الأصل - ندائه -
- (٥٣) في الأصل - سائل -
- (٥٤) في الأصل - تائب -
- (٥٥) في الأصل ضائعاً -
- (٥٦) في الأصل - فائدة -
- (٥٧) في الأصل - صاحب - كذا ورد -
- (٥٨) في الأصل - القيمة -

روي في وصايا لقمان الحكيم لابنه انه قال : يا بُني لا يكونن الذّيك
أكيس منك يُنادي^(٦٤) بالأسحار وأنت نائم .
ولقد أحسن من قال شعراً :
لقد هتفت في جنح ليلٍ حمّامة
على فنن وهنّ وانسي لنائــــم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً
لما سبقتني بالبكاء الحمائم^(٦٥)
فازعم أنّي هائم ذو صباية
لربي ولا أبكي وتبكي البهائم^(٦٦)

خلاصة العلم : أن تعمل أن الطاعة والعبادات ما هي ؟ إعلم ،
الطاعة والعبادات ، متابعة الشارع في الأوامر والنواهي ، بالقول والفعل ،
يعني كل ما تقول وتفعل وتترك يوافق قوله وفعله ، بأن يكون باقتداء
الشرع ، كما لو صمت يوم العيد وأيام التشريف تكون عاصياً ، أو صليت

(٦٤) في الأصل - ينادى - الياء الاخيرة بلا نقاط

(٦٥) في الأصل - الحامي -

(٦٦) في الأصل - البهائم -

ومن الليل فتعجد به نافلة لك أمرٌ ، وبالأسحارهم يستغفرون
شكراً ، والمستغفرون بالأسحار ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ثلاثة^(٥٩) أصوات يحبها الله تعالى ، صوت الذّيك ، وصوت الذي
يقرأ^(٦٠) القرآن^(٦١) ، وصوت المستغفرين بالأسحار ، وقال سفيان الثوري
رحمة الله عليه :

إنّ الله تبارك وتعالى يخلق ريحاً تهب وقت الأسحار ، تحمل الأذكار
والاستغفار إلى الملك الجبار .
وقال أيضاً :

إذا كان أوّل الليل ينادي منادٍ ، من تحت العرش : ألا ليقيم
العابدون ، فيقومون ، ويصلون ما شاء الله تعالى ، ثم ينادي منادٍ شطر
الليل : ألا ليقيم القائتون فيقومون^(٦٢) ويصلون إلى السحر ، فإذا كان
السحر ينادي منادٍ : ألا ليقيم المستغفرون فيقومون ويستغفرون ، فإذا طلع
الفجر نادى^(٦٣) منادٍ : ألا ليقيم الغافلون ، فيقومون من فرشهم كالموتى
نشروا من قبورهم .

(٥٩) في الأصل - ثلثة -

(٦٠) في الأصل - يقرء -

(٦١) في الأصل - القراءن -

(٦٢) في الأصل - فيقون -

(٦٣) في الأصل - نادا -

ثوب مغصوب، وإن كان صورته عبادة^(٦٧) تأثم^(٦٨).

١ - أيها الولد :

فينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافقاً للشرع، إذ العلم والعمل لا إقتداء الشرع ضلالة.

وينبغي لك أن لا تغتر بشطح الرقص وطامات الصوفية^(٦٩) لأن لوك هذا الطريق، يكون بالمجاهدة، وقطع شهوة النفس، وقتل هواها سيف الرياضة لا بالطامات والنزهات بالظلمات.

واعلم أن اللسان المطلق والقلب المحلق بالغفلة^(٧٠)، والشهوة^(٧١) لامة الشقاوة حتى لا تقتل نفسك بصدق المجاهدة، لن تحي قلبك بأنوار إافقة.

وأعلم ان بعض مسائلك^(٧٢) التي سألتني^(٧٣) لا يستقيم جوابه بكتابة والقول، بل أن تبلغ تلك الحالة^(٧٤)، تعرف ما هي؟ وإلا فعلها المستحيلات، لأنها ذوقتي، وكلما يكون ذوقياً لا يستقيم وصفه بالقول

(٦٧) في الأصل - عبادة - التاء بلا نقاط

(٦٨) في الأصل - تأثم -

(٦٩) في الأصل - الصوفية - التاء بلا نقاط

(٧٠) في الأصل - بالغفلة - التاء بلا نقاط

(٧١) في الأصل - والشهوة - التاء بلا نقاط

(٧٢) في الأصل - مسائلك -

(٧٣) في الأصل - سألتني -

(٧٤) في الأصل - الحالة - التاء بلا نقاط

كحلاوة الحلو ومرار المر، لا يُعرف إلا بالذوق، كما حكى أن عنيماً كتب إلى صاحب له أن عرّفني لذة الجامعة، فكيف تكون!!

فكتب في جوابه: يا فلان اني كنت أحسبك عنيماً فقط، والآن عرفت انك عنيماً وأحق، ثم أعلم أن هذه اللذة ذوقية، ان تصل إليها تعرف، وإلا فلا يستقيم وصفها بالقول والكتابة.

١٧ - أيها الولد^(٧٥):

بعض مسائلك من هذا القبيل، وأما البعض الذي يستقيم له الجواب، فقد ذكرناها في الأحياء^(٧٦) وغيره، ونذكرها هنا نبذاً منه ونشير إليه فنقول: أول الأمر، الواجب على سالك الطريق، اعتقاد صحيح، لا يكون فيه بدعة، والثاني: توبة نصوح لا ترجع بعدها إلى الزلة. الثالث: إسترضاء خصوم حتى لا يبقى لأحد عليك حق، والرابع: تحصيل علم الشريعة قدر ما يؤدي به أوامر الله تعالى، ثم من علوم الآخرة ما يكون فيه النجاة فالزيادة على هذا القدر ليس بواجب، وهذا الكلام يكون مفهوماً مع حكاية، حكى أن أبا بكر الشبلي رحمه الله تعالى عليه خدم اربعمائة استاذ^(٧٧) وقال: قرأت منهم أربعمائة^(٧٨) ألف حديث، واخترت منها حديثاً واحداً، وعملت به، وخليت ما سواه، لأنني تأملتته فوجدت خلاصي

(٧٥) في الأصل - أيها الولد - بسقوط الالف من الولد

(٧٦) المقصود «أحياء علوم الدين» وهي من أهم وأشهر كتب الغزالي.

(٧٧) في الأصل - اربعمائة استاذ -

(٧٨) في الأصل - أربعمائة -

ونجاتي فيه ، وكان علم الأولين مندرجاً فيه فاكتفيت به وذلك^(٧٩) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه : اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل^(٨٠) لآخرتك^(٨١) بقدر بقائك^(٨٢) فيها ، واعمل لله بقدر حاجتك إليه واعمل للنار بقدر صبرك عليها ، وإذا أردت أن تعصي مولاك ، فاطلب مكاناً لا يراك .

١٨ - أيها الولد^(٨٣) :

إذا عملت بهذا الحديث ، لا حاجة لك في علم كثير ، وتأمل في حكاية أخرى وهي : أن حاتم الأصم كان من أصحاب شقيق البلخي رحمه الله تعالى فسأله^(٨٤) يوماً وقال :

انك صاحبي منذ ثلاثين^(٨٥) سنة ، فما حاصلك فيها ؟

قال : حصلت ثمانية فوائد^(٨٦) من العلم ، وهي تكفي منه لأنني أرجو

نجاتي وخلصي فيه .

فقال شقيق : ما هي ؟

(٧٩) في الأصل - وذلك -

(٨٠) في الأصل - وعمل -

(٨١) في الأصل - لا آخرتك -

(٨٢) في الأصل بقتائك -

(٨٣) في الأصل - لولد -

(٨٤) في الأصل - فسئله -

(٨٥) في الأصل - ثلاثين -

(٨٦) في الأصل - فوائد -

قال حاتم : الفائدة^(٨٧) الأولى اني نظرت إلى الخلق فرأيت^(٨٨) لكل واحد منهم محبوباً ومعشوقاً يحبه ويعشقه ، وبعض ذلك المحبوب يصاحبه إلى مرض الموت ، وبعضه إلى شفير القبر ، ثم يرجع كله ويتركونه وحيداً فريداً ، ولا يدخل منه في قبره منهم أحد ، فتفكرت ، وقلت أفضل محبوب المرء ما يدخل في قبره ويؤنس^(٨٩) فيه ، فما وجدته إلا الأعمال الصالحة ، وأخذتها محبوباً لي لتكون سراجاً في قبري ويؤنسي^(٩٠) ولا يتركني فريداً .
الفائدة^(٩١) الثانية : اني رأيت الخلق يعبدون اهواءهم ، ويبادرون إلى مدارات أنفسهم ، فتأملت في قوله تعالى :

« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى »^(٩٢) ، وتيقنت إن القرآن حق صادق ، فبادرت إلى خلاف نفسي ، وتشمرت لمجاهدتها وما متعتها بهواها ، حتى ارتاضت في طاعة الله وانتقياده لها^(٩٣)

الفائدة^(٩٤) الثالثة : اني رأيت كل واحد من الناس يسعى في جمع حطام الدنيا ثم يمسكه قابضاً يده عليه فتأملت في قوله تعالى : « ما عندكم

(٨٧) في الأصل - الفائدة -

(٨٨) في الأصل - فرأيت -

(٨٩) في الأصل - ويؤنسه -

(٩٠) في الأصل - ويؤنسي -

(٩١) في الأصل - الفائدة -

(٩٢) القوسين من عندنا ، وذلك لتمييز كلام الله تعالى عن باقي عبارات الكتاب

(٩٣) في الأصل - وانتقاده -

(٩٤) في الأصل - الفائدة -

ينفذ وما عند الله باقٍ»^(٩٥)، فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى ففرقته بين المساكين ليكون ذخراً لي عند الله.

الفائدة^(٩٦) الرابعة: اني رأيت بعض الخلق يظن أن شرفه وعزه في كثرة^(٩٧) الأقسام والعشائر^(٩٨) فيغتر بهم، وزعم آخرون انه في ثروة المال وكثرة الأولاد فيفتخر بها، وحسب بعضهم أن العزة والشرف في غضب أموال الناس، وظلمهم، وسفك الدماء، واعتقدت^(٩٩) طائفة^(١٠٠) أنه، في اتلاف المال واسرافه وتبذيره، فتأملت في قوله تعالى: «ان أكرمكم عند الله أتقاكم»^(١٠١)، فاخترت^(١٠٢) التقوى واعتقدت^(١٠٣) ان القرآن صادق وظنهم وحسابهم كلها باطلة.

الفائدة^(١٠٤) الخامسة: اني رأيت الناس يذم بعضهم بعضاً، ويغتاب بعضهم بعضاً فوجدت^(١٠٥) ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم

(٩٥) وضعنا الآية الكريمة بين قوسين

(٩٦) في الأصل - الفائدة -

(٩٧) في الأصل - كثرت -

(٩٨) في الأصل - العشائر -

(٩٩) في الأصل - واعتقدت -

(١٠٠) في الأصل - طائفة -

(١٠١) الآية الشريفة بين قوسين

(١٠٢) في الأصل - فاخترت -

(١٠٣) في الأصل - واعتقدت -

(١٠٤) في الأصل - الفائدة -

(١٠٥) في الأصل - فوجدت -

فتأملت في قوله تعالى: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة»^(١٠٦) الدنيا. فعلمت ان القسمة كانت من عند الله تعالى لي الأزل فما حسدت^(١٠٧) أحداً ورضيت بقسمة الله تعالى.

الفائدة^(١٠٨) السادسة: اني رأيت الناس يعادي بعضهم بعضاً لغرض أو سبب، فتأملت في قوله تعالى: «ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً»^(١٠٩)، وعلمت انه لا يجوز عداوة أحد غير الشيطان.

الفائدة^(١١٠) السابعة: اني رأيت كل أحد يسعى بجده ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش بحيث يقع في شبهة^(١١١) حرام، ويدل نفسه، وينقص قدره، فتأملت في قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها^(١١٢)، فعلمت إن رزقي على الله قد ضمنه، فاشتغلت بعبادته وقطعت طمعي عمّن سواه.

(١٠٦) في الأصل - في الحياة -

(١٠٧) وضعنا الآية بين قوسين

(١٠٨) في الأصل - فما حسدت -

(١٠٩) في الأصل - الفائدة -

(١١٠) وضعنا الآية بين قوسين

(١١١) في الأصل - الفائدة -

(١١٢) في الأصل - شبهه -

(١١٣) الآية بين قوسين

الفائدة^(١١٤) الثامنة : إني رأيت كل أحدٍ معتمداً إلى شيء مخلوق بعضهم، إلى الدنيا والدرهم، وبعضهم إلى المال والملك، وبعضهم إلى الحرفة والصناعة وبعضهم إلى مخلوق مثله فتأملت في قوله تعالى : «ومن يتوكل على الله فهو حسبه... الآية»^(١١٥) فتوكلت على الله فهو حسبي ونعم الوكيل هو.

فقال شقيق : وفقك الله إني نظرت في التورات والانجيل والزبور والفرقان فوجدت^(١١٦) الكتب الأربعة تدور على هذه الفوائد^(١١٧) الثمانية، فمن عمل بها كان عاملاً بالكتب الأربعة^(١١٨).

١٩ - أيها الولد^(١١٩) :

قد علمت من هاتين^(١٢٠) الحكايتين أنك لا تحتاج إلى تكثير العلم، والآن أبين لك ما يجب على سالك سبيل الحق^(١٢١) : اعلم أنه ينبغي للسالك من شيخ مرشدٍ مربٍ ليخرج الأخلاق السوء^(١٢٢) منه، بتر بيته،

(١١٤) في الأصل - الفائدة -

(١١٥) وضعنا الآية بين قوسين.

(١١٦) في الأصل - فوجدت -

(١١٧) في الأصل - الفوائد -

(١١٨) في الأصل - الأربعة - التاء بلا نقاط

(١١٩) في الأصل - لولد - يسقط الالف من أول الكلمة.

(١٢٠) في الأصل - هذين -

(١٢١) في الأصل - الحق - والمعنى لا يستقيم به كما هو واضح.

(١٢٢) الأخرى : السيئة

شبه فعل الفلاح الذي يقطع الشوك ويخرج النبات الأجنبية بين الزرع، ليحسن نباته، ويكمل ريعه، فلا بُدَّ للسالك من شيخ يريه ويرشده إلى سبيل الله تعالى، وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يكون عالماً، لأن كل عالمٍ يصلح له، وإني أبين لك بعض علامته على سبيل الاجمال حتى لا يدعي كل أحدٍ أنه مرشد، فنقول هو من يعرض عن حبِّ الدنيا وحبِّ الجاه، وكان تابعاً^(١٢٣) لشخصٍ بصير بتسلسل متابعته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن يكون محسناً رياضة نفسه من قلة^(١٢٤) الأكل والشرب والقول والنوم وكثرة^(١٢٥) الصلوات والصوم والصدقة، وكان بمتابعة الشيخ البصير جاعلاً محاسن الأخلاق له سيرة، كالصبر، والشكر، والتوكل، واليقين، والسخاوة، والقناعة، والأمانة وطمأنينة^(١٢٦) النفس وبذل المال والجلم، والتواضع، والعلم، والصدق، والحياء، والوفاء، والوقار، والسكون، والتأني، وامثالها، فهو إذا نورٌ من أنوار النبي صلى الله عليه وسلم ويصلح للاقتداء، لكن وجود مثله نادرٌ أعزُّ من الكبريت الأحمر، ومن ساعدته السعادة يجد شيخاً كما ذكرنا، ويقبله الشيخ، فينبغي أن يحترمه ظاهراً وباطناً، أما الاحترام^(١٢٧) الظاهر فهو أن لا يجادله ولا يشتغل بالاحتجاج

(١٢٣) في الأصل - تابع -

(١٢٤) في الأصل - قلت -

(١٢٥) في الأصل - وكثرت -

(١٢٦) في الأصل - وطمأنينة -

(١٢٧) في الأصل - الاحرام -

معه في كل مسألة^(١٢٨)، وإن علم خطؤه^(١٢٩) ولا يلقي سجادته بين يديه^(١٣٠)،
وقت الصلوات، فإذا فرغ يرفعها، ولا يكثر نوافل الصلوات بحضرته^(١٣١)،
ويعمل ما يأمره الشيخ من العمل بقدر وسعه وطاقته.

وأما الاحترام الباطن، فهو أن ما يسمع ويقبل منه في الظاهر لا ينكره
في الباطن، لا فعلاً ولا قولاً، لئلا يتسم^(١٣٢) بالنفاق، فإن لم يستطع، يترك
صحبه، إلى أن يوافق باطنه ظاهرة، ويحترز عن مجالسة صاحب السوء،
ليقتصر ولاية شياطين الجن والانس، عن صحن قلبه، فيصفي عن القوة
الشیطانية، وعلى كل حال، يخار الفقر.

اعلم ان التصوف له خصلتان: الاستقامة مع الله والسكون مع
الخلق، فمن استقام مع الله، وأحسن خلقه مع الناس، وعاملهم
بالحلم، فهو صوفي.

والاستقامة مع الله يفدي حظ نفسه على أوامر الله تعالى، وحسن
بالخلق، بالناس، أن لا تحمل الناس على مراد نفسك، بل تحمل نفسك
على مرادهم، ما لم يخالفوا الشرع، ثم انك سألتني^(١٣٣) عن العبودية،
وهي ثلاثة أشياء :

أحدها : محافظة أمر الشرع.

- (١٢٨) في الأصل - مسألة -
- (١٢٩) في الأصل - خطاءه -
- (١٣٠) في الأصل - بحضرته -
- (١٣١) في الأصل - يتسم -
- (١٣٢) في الأصل - سألتني -

وثانيها : الرضاء^(١٣٣) بالقضاء والقدر وقسمة الله تعالى .

وثالثها : ترك رضاء نفسك في رضاء الله تعالى .

وسألتني^(١٣٤) عن التوكل، وهو أن تستحكم إعتقادك بالله فيما وعد،
يعني تعتقد أن ما قُدِّر لك سيصل إليك، وما لم يكتب لك لا يصل^(١٣٥)
إليك^(١٣٦)، وإن ساعدك جميع العالم.

وسألتني^(١٣٧) عن الاخلاص : وهو أن تكون أعمالك كلها لله، لا
يرتاح قلبك بمحامدة الناس بمذمتهم.

واعلم أن الرِّياء يتولد من تعظيم الخلق، وعلاجه أن تراهم
مسخرين للقدر^(١٣٨)، وتحسبهم كالجامدات في عدم قدرة إيصال الراحة^(١٣٩)
والمشقة، لتخلص من مرياتهم ومتى تحسبهم ذوي قدرة وإرادة لن يبعد
عنك الرِّياء.

٢٠ - أيها الولد :

الباقى من مسائلك^(١٤٠) مسطور في مصنفاتي فاطلب ثمنه، وكتابة

- (١٣٣) في الأصل - الرضاء -
- (١٣٤) في الأصل - وسألتني -
- (١٣٥) في الأصل - لا يصل -
- (١٣٦) في الأصل - إليك -
- (١٣٧) في الأصل - وسألتني -
- (١٣٨) في الأصل - للقدره -
- (١٣٩) في الأصل - الراحة -
- (١٤٠) في الأصل - مسائلك -

بعضها حرام، فاعمل أنت بما تعلم، لينكشف لك ما تعلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم.

٢١ - أيها الولد :

بعد اليوم سألتني ما أشكل بلسان الجنان «ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم» الآية . . ، وأقبل نصيحة الخضر عليه السلام، «فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً» .
ولا تستعجل حتى تبلغ أوانه، ويكشف لك، وتراه، «سأريكم آياتي فلا تستعجلون» .
فلا تسأل^(١٤١) قبل الوقت وتيقن انك لا تصل إلا بالسير : «أو لم يسيروا في الأرض، فينظروا» .

٢٢ - أيها الولد^(١٤٢) :

بالله أن تنسى^(١٤٣)، ترى العجائب في كل منزل، ابذل روحك، فان رأس هذا الأمر، بذل الروح، كما قال ذوالنون المصري رحمة الله تعالى

(١٤١) فلا - تسأل -

(١٤٢) في الأصل - لولد -

(١٤٣) الكلمة في الأصل غير واضحة وكتبت بالشكل الآتي : - نسي - فقدرونها تنسى .

عليه، لواحد من تلامذته، إن قدرت^(١٤٤) على بذل الروح، فتعال، وإلا فلا تشتغل بنزهات الصوفية .

٢٣ - أيها الولد :

إني أنصحك بشمانية أشياء، اقبلها لئلا يكون عليك، خصماً يوم القيمة، تعمل منها، بأربعة، وتدع منها أربعة، أما اللواتي تدع إحداها، أن تناظر أحداً في مسألة^(١٤٥) ما استطعت لأن فيها آفة كثيرة، واثمها، اكبر من نفعها، اذ هي منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهات وغيرها، نعم وقعت مسألة^(١٤٦) بينك وبين شخص أو قوم وكانت^(١٤٧) ارادتك فيها أن يظهر الحق، ولا يضيع، جاز البحث، لكن لتلك الارادة علامتان احدهما، أن لا تفرق بين أن ينكشف الحال على لسانك أو على لسان غيرك .

والثانية : ان يكون البحث في الخلاء أحب اليك من ان يكون في الملاء واسمع إني اذكرك لك هنا فائدة^(١٤٨) :

(١٤٤) في الأصل - قدره -

(١٤٥) في الأصل - مسألة -

(١٤٦) في الأصل - وقع مسألة -

(١٤٧) في الأصل - وكان -

(١٤٨) في الأصل - فائدة -

اعلم ان السؤال عن المشكلات تعرض مَرَض القلب، الى الطبيب، والجواب له سعي لاصلاح مرضه، واعلم ان الجاهلين، المرضى قلوبهم، والعلماء الاطباء، والعالم الناقص لا يحسن المعالجة، والعالم الكامل لا يعالج كل مريض بل يعالج من يرجو^(١٤٩) فيه قبول المعالجة والصلاح، وأما إذا كانت العلة مزمنة أو عقمياً، لا يقبل العلاج فحداقة الطبيب فيه، ان يقول: هذا لا يقبل العلاج، فلا يشتغل بمداواته، لان فيه تضييع^(١٥٠) العمر.

ثم اعلم ان مرض الجهل، على اربعة أنواع: احدها يقبل العلاج، والباقي لا يقبل العلاج، أما الذي لا يقبل، احدها ان يكون سؤاله واعتراضه من حسد وبغض، فكلما تحببه بأحسن الجواب وأفصحه وأوضحه لا يزيده ذلك^(١٥١) إلا غيظاً وحسداً، فالطريق أن لا يشتغل بجوابه شعراً:

كل العداوة قد ترجى إزالتها

إلا عداوة من عاداك في حسد^(١٥٢)
وينبغي إن تعرض عنه وتتركه مع مرضه، قال الله تعالى: «فأعرض عن تولي ذكرنا ولم يرد إلا الحياة»^(١٥٣) الدنيا، والحسود بكل ما يقول

- (١٤٩) في الأصل - يرجوا -
- (١٥٠) في الأصل - تضييع -
- (١٥١) في الأصل - ذلك -
- (١٥٢) في الأصل - في حسد -
- (١٥٣) في الأصل - الحياة -

ويفعل يوقد النار في زرع عمله الحسد، ويأكل الحسنة كما تأكل النار الخطب.

والثاني ان تكون علته من الحماقة وهي أيضاً لا يقبل العلاج كما قال عيسى ابن مريم عليه السلام: «أني ما عجزت من أحياء الاموات»^(١٥٤) وقد عجزت عن معالجة الأحق، وذلك^(١٥٥) رجل يشتغل بطلب العلم زماناً قليلاً ويتعلم بشيء من العلوم، العقلي والشرعي، فيسأل ويتعرض من حماقته على الكبير المضي عمره في العلوم العقلية والشرعية^(١٥٦)، وهذا الاحق لا يعلم ولا يزعم ان ما اشكل عليه هو أيضاً مشكل على العالم الكبير، فاذا لم يتفكر هذا القدر يكون سؤاله من الحماقة، فينبغي أن لا يشتغل بجوابه لان جوابه، الاحق، السكوت.

الثالث: أن يكون مسترشداً وكلما لا يفهم من كلام الأكابر يحمله على قصور فهمه، وكان سؤاله للاستفادة، لكن يكون بليداً لا يدرك الحقائق^(١٥٧)، فلا ينبغي الاشتغال بجوابه أيضاً، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نحن معاشر الأنبياء أممرنا أن نتكلم مع الناس بقدر عقولهم)، وأما المريض الذي يقبل العلاج، هو أن يكون مسترشداً عاقلاً فهماً لا يكون مغلوب الحسد والغضب والشهوة والجاه والمال.

- (١٥٤) في الأصل - الاموات -
- (١٥٥) في الأصل - وذلك -
- (١٥٦) في الأصل - العقلي والشرعي -
- (١٥٧) في الأصل - الحقائق -

ويكون طالب الطريق المستقيم ولم يكن سؤاله واعتراضه من حسدٍ وتعنّبٍ وامتحانٍ، وهذا يقبل العلاج، فيجوز أن يشتغل بجوابه، بل يجب عليك اجابته.

والثاني : مما تدع، وهو أن تحذرو وتحترز من أن تكون واعظاً أو مذكراً، لأن آفته كثيرة إلا أن تعمل بما تقول أولاً، ثم تعظ به الناس، وتفكر فيما قيل لعيسى عليه السلام : يا ابن مريم عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس، والا فاستحي من ربك، وإن ابتليت بهذا العمل فاحترز من خصلتين الأولى عن التكلف في العبارات والاشارات والطامات والآيات والأشعار لأن الله تعالى يبغض المتكلفين والمتكلف المتجاوز عن الحد، وهو يدل على خراب الباطن وغفلة القلب، ومعنى التذكير أن يذكر العبد الآخرة، وتقصير نفسه في خدمة الخالق، ويتفكر في عمره الماضي، الذي أفناه فيما يعنيه ويتفكر فيما بين يديه من العقبات العظيمة، نحو الخروج من الدنيا، مع سلامة الايمان في الخاتم، وكيفية حاله في قبضة^(١٥٨) ملك الموت، وهل يقدر على جوابٍ منكبرٍ ونكير، ويهتم بحاله في القيامة^(١٥٩) وموافقتها وهل يعبر على الصراط سالماً، أم يقع، في الهاوية، ذكر هذه الاشياء يستمر في قلبه فيزعجه عن قراره، فغليان هذه النيران وتوجه هذه المصائب تسمى تذكيراً وإعلاماً للخلق، واطلاعهم^(١٦٠) على هذه الاشياء

(١٥٨) في الأصل - قبضة -
(١٥٩) في الأصل - القيمة -
(١٦٠) في الأصل - طلاعهم -

وتنبههم على تقصيرهم وتفريطهم بتصيرهم بعيوب أنفسهم لتمس حرارة هذه النيران أهل المجلس وتجرحهم تلك المصائب^(١٦١) ليتداركوا العمر الماضي بقدر الطاقة، ويتحسر على الأيام الماضية، في غير طاعة الله تعالى، هذه الجملة على هذه الطريقة، تسمى وعظاً كما لو رأيت السيل^(١٦٢) قد هجم على دار أحدٍ وكان هو مع أهله فيها، تقول : الحذر الحذرا ! من سبيل المسيل، وهل يشتهي قلبك وأنت في هذه الحالة أن تُخبر صاحب الدار بتكلف العبارات والنكت والاشارات، فلا تشتهي، البتة، فكذلك^(١٦٣) حال الوعظة، فينبغي أن تجنب عنها.

والخصلة الثانية : ان لا يكون همك في وعظك أن يغر^(١٦٤) الخلق في مجلسك ويظهر الوجد ويشق الثياب، ليقال : نعم المجلس هذا، لأن كَلَهَ مشيد الرياء، وهو يتولد من الغفلة بل ينبغي أن يكون عزمك وهمتك أن تدعو الناس من الدنيا إلى الآخرة، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الحرص إلى الزهد، ومن البخل إلى السخاوة، ومن الشك إلى اليقين، ومن الغفلة إلى اليقظة، ومن الغرور إلى التقوى، وتجنب اليهم الآخرة، وتبغض اليهم الدنيا وتعلمهم علم العبادات والزهد لان الغالب في طباعهم الزيغ عن منهج الشرع والسعي فيما لا يرضي الله تعالى به والاشتغال بالأخلاق الرديئة^(١٦٥) فالتى^(١٦٦) في قلوبهم الرعب ورؤعهم

(١٦١) في الأصل - المصائب -
(١٦٢) في الأصل - رايت السيل -
(١٦٣) في الأصل - فكذلك -
(١٦٤) في الأصل - يفر -
(١٦٥) في الأصل - الردية -
(١٦٦) في الأصل - فالتى -

وحذرهم عما يستقبلون إليه من المخاوف لعل صفات^(١٦٧) باطنهم تتغير، ومعاملة ظاهريهم تبدل ويظهر الحرص والرغبة في الطاعة والرجوع عن المعصية، وهذا طريق الوعظ والنصيحة، وكل وعظ لا يكون هكذا، فهو وبأل، على من قال وسمع، بل قيل انه غول وشيطان يذهب بالخلق فيهلكهم فيجب عليهم أن يفرّوا منه لأن ما يفسد هذا القائل^(١٦٨) الجاهل من دينهم، لا يستطيع عليه الشيطان، ومن كان له يد وقدره يجب عليه أن ينزله من منابر المسلمين ويمنعه عما باشر، فانه من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والثالث، مما تدع، : أن لا تخالط الأمراء والسلاطين، ولا تراهم، لان رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة، ولو ابتليت من غير اختيار، بها، دع عنك مدحهم، وثناءهم، لان الله تعالى، يغضب، إذا مدح الفاسق والظالم ومن دعا بطول عمره، فقد أحب ان يعصي الله تعالى في أرضه.

والرابع مما تدع : أن لا تقبل شيئاً^(١٦٩) من عطايا الأمراء وهداياهم، وان علمت انها من الحلال، لأن الطمع منهم يفسد الدين، لانه يتولد منه المداينة^(١٧٠) ومراعات جانبهم، والموافقة بظلمهم، وهذا كله فساد، في الدين، وأقل مضرتك انك إذا قبلت عطاياهم وانتفعت من دنائيرهم

(١٦٧) في الأصل - صفاتهم ت -

(١٦٨) في الأصل - القائل -

(١٦٩) في الأصل - شيئاً -

(١٧٠) في الأصل - المداينة - التاء بلا نقاط -

احبيبتهم ومن أحبّ أحداً يجب طول عمره وبقائه بالضرورة، وفي حجة بقاء الظالم إرادة الظلم على عباد الله وإرادة خراب العالم، فأى شيء أضرم من هذا بالدين والعافية، وإياك إياك أن تخذع باستهواء الشيطان ويقول بعض الناس : لك الأفضل والأولى أن تأخذ^(١٧١) منهم الدينار، والدرهم وتفرقه بين الفقراء والمساكين فانهم ينفقون في الفسق والمعصية، وانفاقك على ضعفاء الناس خيراً، من انفاقهم، فإنّ اللعين قد قطع اعناق كثير من الناس بهذه الوسوسة وآفته فاش، كثيرة، قد ذكرناها في احياء علوم الدين، فاطلبه ثمة.

٢٤ - أيها الولد :

ينبغي لك أن تحترز من هذه الاربعة^(١٧٢) فانها من المتروكات وأما الاربعة التي ينبغي لك أن تفعلها:

الأول : أن تجعل معاملتك مع الله بحيث لو عامل معك بها عبد ترضى منه ولا يضيق خاطرك عليه وتغضب، وما لا ترضى منه نفسك من عبد المجازي لا يرضى وهو سيّدك الحقيقي.

والثاني مما تعمل : كلّما عاملت بالناس اجعل كما ترضى لنفسك منهم، لانه لا يكمل إيمان عبد حتى يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه.

(١٧١) في الأصل - تخذ -

(١٧٢) في الأصل - الاربعة -

والثالث : اذا قرأت^(١٧٣) العلم أو طالعته، ينبغي أن يكون علماً يصلح قلبك ويزكي نفسك كما لو علمت أن عمرك ما بقي غير اسبوع، فبالضرورة أن لا تشتغل فيها بعلم الفقه والخلاف والاصول والكلام وأمثالها لأنك تعلم ان هذه العلوم لا تفيدك بل تشتغل بمراقبة القلب ومعرفة صفات النفس والاعراض عن علائق^(١٧٤) الدنيا، وتزكي نفسك عن الأخلاق الذميمة، وتشتغل بمحبة الله تعالى وعبادته، والاتصاف بالاوصاف الحسنة، ولا يمر على العبد يوم وليلة^(١٧٥) إلا ويمكن أن يكون موته فيه.

٢٥ - أيها الولد :

اسمع مني كلاماً آخر وتفكر فيه تجد خلاصاً، لو انك أخبرت ان السلطان بعد اسبوع يجيئك^(١٧٦) زائراً اعلم انك لا تشتغل في تلك المدة إلا باصلاح ما علمت أن نظر السلطان سيقع عليه من الثياب والبدن والدار والفرش وغيرها.

والآن تفكر الى ما أشرتُ به فانك فهم، والكلام الفردي يكفي الكيس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، (ان الله لا ينظر الى

(١٧٣) في الاصل - قراءة -

(١٧٤) في الاصل - علائق -

(١٧٥) في الاصل - وليلة - التاء بلا نقاط

(١٧٦) في الاصل - يجيئك -

صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم).

وان أردت علم أحوال القلب فانظر الى الاحياء وغيره من مصنفاتي، وهذا العلم فرض عين، وغيره فرض كفاية، إلا مقدار ما تؤدي فرائض^(١٧٧) الله، والله يوفقك حتى تحصله.

والرابع : أن لا تجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدُّ لبعض حجراته وقال: (اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً)، ولم يكن يعد ذلك^(١٧٨) لكل الحجرات، بل كان يعد لمن علم أن في قلبها ضعفاً وأما من كانت صاحبة يقين ما يعد لها الا قوت يوم ونصف.

٢٦ - أيها الولد :

اني كتبت في هذا الفصل مسائلك فينبغي ان تعمل بها، ولا تنساني فيه من أن تذكرني في صالح دعائك وأما الدعاء الذي سألت مني فأطلبه من دعوات الصحاح وأقرأ هذا الدعاء في أوقاتك خصوصاً في عقاب الصلوات :

اللهم اني أسألك^(١٧٩) من النعمة تمامها، ومن العصمة دوامها، ومن الرحمة شمولها، ومن العافية حُصولها، ومن العيش أرغدته، ومن العمر

(١٧٧) في الاصل - فرائض -

(١٧٨) في الاصل - ذالك -

(١٧٩) في الاصل - استلكت -

أسعده، ومن الاحسان أتمه، ومن الأنعام أعمه، ومن الفضل أعذبه، ومن اللطف أنفعه.

اللهم كن لنا ولا تكن علينا، اللهم اختم بالسعادة، آجالنا، وحقق بالزيادة آمالنا، واقرب بالعافية، غُدونا وآصالنا، واجعل الى رحمتك مصيرنا، ومآلنا^(١٨٠)، أصبب سجال عفوك^(١٨١) على ذنوبنا، ومَن علينا باصلاح عيوبنا، اجعل التقوى، زادنا، وفي دينك اجتهادنا، وعليك توكّلنا واعتمادنا، ثبتنا على نهج الاستقامة وأعذنا من موجبات الندامة والفضيحة يوم القيامة^(١٨٢)، خفف عنا ثقل الاوزار وارزقنا عيش الابرار، واكفنا واصرف عنا شر الأشرار، واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمّهاتنا من النار.

يا عزيز يا غفار برحمتك يا أرحم الراحمين.

فائدة :

إذا كان الشخص منفرداً عهن مرشد كامل أو صديقي ناصح فليطالع هذه النصائح^(١٨٣) حتى تكون نصب عينيه : يرجو^(١٨٤) من فضل الله أن لا

(١٨٠) في الأصل - وماء لنا -

(١٨١) في الأصل - عفول -

(١٨٢) في الأصل - القيمة -

(١٨٣) في الأصل - النصائح -

(١٨٤) في الأصل - يرجوا -

يكون للنفس والشيطان عليه استيلاء^(١٨٥)، ولا يقف عن الترقى في أحواله، أحديها أن يعرف دقائق^(١٨٦) الرّياء حتى تكون أعماله خالصة لوجه الله.

والثانية : انه اذا ظفر بشيء من مراتب الطريق لا يعجب به، يتهم نفسه ويعتقد انه ليس في العالم بضال مثله ويرى تقصيره في كل عمل.

والثالثة : يحسن الظن بالله ويقول : ان الله يرزق الظلمة والفساق والكفار والكلاب وسائر^(١٨٧) المخلوقات فلا يجرمني بما قدّر لي من الرزق.

والرابعة : لا يستعجل في حصول المقصود.

والخامسة : يعود نفسه على تحمل أذاء الخاص والعام والصغير والكبير، والمحب والعدو.

والسادسة : لا تحقرن مسلماً بعضيان صدر منه لان الخاتمة مُبهمه.

والسابعة : يخاف من سوء الخاتمة، العياد^(١٨٨) بالله.

والثامنة : يقصر الأمد بحيث إذا صلّى صلوات يعتقد أنها آخر

صلواته يعيش إلى صلوات أخرى، أم لا !!

والله الموفق للصواب.

تمت هذه الوصية بعون الله الملك الوهاب

(١٨٥) في الأصل - أسيلاء -

(١٨٦) في الأصل - دقائق -

(١٨٧) في الأصل - وسائر -

(١٨٨) في الأصل - العياد -

فهرست کتاب

آیة الود

ان رسالة - أيها الولد - للغزالي خالية من الفصول والأبواب والأقسام، والمقدمة، وقد قام الغزالي بتصنيفها على شكل نصائح، وابتدأ كل نصيحة بعبارة أيها الولد، ولما كان المخطوط الاصل خالياً من فهرست لتنظيم وترتيب هذه النصائح، لذا قمت بهذه الخطوة، لكي تحل محل الفهرست.

«المقدمة»

- ١- النصيحة الاولى : نصيحة الرسول (ص) لأمته.
- ٢- النصيحة الثانية: في سبب تقديم النصيحة «النصيحة سهلة والمشكل قبولها»
- ٣- النصيحة الثالثة «لا تكن من الأعمال مفلساً . . . الخ»
- ٤- النصيحة الرابعة: «لو كان لرجل حرارة أو مرض صفراوي . . .»
- ٥- النصيحة الخامسة: «إذا مات ابن ادم انقطع عنه عمله . . . الخ»
- ٦- النصيحة السادسة: «ما لم تعمل، لم تجد الاجر . . . الخ»
- ٧- النصيحة السابعة: «كم ليالٍ احببتها بتكرار العلم، ومطالعة الكتب. الخ».
- ٨- النصيحة الثامنة: «عش ما شئت فأنك ميت . . الخ»
- ٩- النصيحة التاسعة: «فأي شيء حاصلك من تحصيل علم الأخلاق . . .»
- ١٠- النصيحة العاشرة: «العلم بلا عمل جنون»
- ١١- النصيحة الحادية عشر: «اجعل المهمة في الروح . . . الخ»

- ١٢- النصيحة الثانية عشر: «لو كان العلم المجرد كافياً لك ... الخ»
 ١٣- النصيحة الثالثة عشر: «ومن الليل فتهجد به ... الخ»
 ١٤- النصيحة الرابعة عشر: «روي في وصايا لقمان الحكيم ...»
 ١٥- النصيحة الخامسة عشر: في خلاصة العلم
 ١٦- النصيحة السادسة عشر: «فينبغي لك ان يكون قولك وفعلك موافقاً للشرع ... الخ»
 ١٧- النصيحة السابعة عشر: «بعض مسائلك من هذا القبيل ... الخ»
 ١٨- النصيحة الثامنة عشر: «اذا عملت بهذا الحديث ... الخ»
 ١٩- النصيحة التاسعة عشر: «قد علمت من هاتين الحكايتين ... الخ»
 ٢٠- النصيحة العشرون: «الباقي من مسائلك ... الخ»
 ٢١- النصيحة الحادية والعشرون «بعد اليوم سألتني ... الخ»
 ٢٢- النصيحة الثانية والعشرون: «بالله ان تنس ... الخ»
 ٢٣- النصيحة الثالثة والعشرون: «اني انصحك بشأنين اشياء ... الخ»
 ٢٤- النصيحة الرابعة والعشرون «ينبغي لك ان تحترز من هذه الأربعة ... الخ»
 ٢٥- النصيحة الخامسة والعشرون: «اسمع مني كلاماً آخر ... الخ»
 ٢٦- النصيحة السادسة والعشرون «اني كتبت في هذا الفصل مسائلك ... الخ»
 ٢٧- الدعاء مع الخاتمة:

تحقيق وفهرسة جميل إبراهيم حبيب

انتهى

صدر عن دار القادسية كتاب « المنقذ من الضلال »

للإمام الغزالي .. وستوالي الدار اعادة طبع كتب

الإمام الغزالي تباعا ..